مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2572-0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد: 06 العدد: 01- (2022) ص 173/ 180

"التمثلات الذهنية للأنساق العاطفية في شعر" عياش يحياوي"

The semiotics of the passions and the cognitive discourse in AYYASH Yahiaoui 's poetry

د.أسماء حمداوي *

جامعة يحي فارس المدية/الجزائر

Asmahamdaoui10@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/05/16
تاريخ القبول:
2021/06/23

الكلمات المفتاحية:
- ✓ سيمياء الاهواء.
- ✓ العرفنة.
- ✓ المتخيل.

الملخص:

يستدعي الحديث في الخطاب العاطفي في شعر" عياش يحياوي" من المنظور المعرفي مجموعة من المحددات التقنية التي تسمح بالكشف عن الملمح الذهني في الاشتغال الهووي للخطاب، بوصفه نمطا إثنينيا ينبني على أواصر العلاقة بين ثنائيتي الهوى والمتخيل الشعري الذي يسهم في تحقيق الواقعة النفسانية.

من هذا المنظور تندرج هذه المقاربة ضمن أحياز القراءة السيميائية في شقها الجسداني المرتبط تحديدا بسيمياء الأهواء والعرفنة.

Article info

Received …./…./2021
Accepted …./…./2021

Keywords:
- ✓ *The semiotics of the Passions.*
- ✓ *Cognitive discourse*
- ✓ *Psychological approaches*

Abstract :

This research study aims to shed light on the passions in the poetry discourse of the Algerian poet 'AYYASH YAHYAOUI" in its relationships with the cognitive and psychological approaches.

* - المؤلف المرسل.

. مقدمة:

تعتبر السّيميائيةّ من أهمّ المناهج النّقدية الّتي تمخّضت عن الفكر الفلسفيّ والدّرس النّقديّ المعاصر، فقد شكّلت عبر مسارها الممتد من أواخر الخمسينيات من القرن العشرين حتى بدايات القرن الواحد والعشرين سلسلة من التّطوّرات من حيث المبادئ والإجراءات، فمن سيمياء الفعل/ الحدث ومتعلقاتها الكلاسيكيّة إلى السّيميائيّات الجديدة.

تعمل السّيميائيات الجديدة من أجل استدعاء الإنسانيّ في الفهم النّقديّ، فتتضايف مع مفهوم الجسد، وتتداخل، لصناعة كون ميتاسردي جديد، يمتح أدواته الإجرائيّة من خصوصيّة الذّات بدءا بالجانب الشّعوريّ الهووي الّذي مهّد له "غريماس" من خلال كتابه "في المعنى"، وأسّس له مع "جاك فونتاني" في كتابهما: "سيميائيات الأهواء"، وتساوقا مع الجانب العرفيّ الّذي يجعلنا في علاقة مباشرة مع مباحث التداولية من جهة ومع الدّرس النفساني الجشتلطي والعصبيّ والإدراكيّ من جهة أخرى، ووصولا إلى سيمياء المحسوس والبصمة متمثلة في كتابات "فونتاني".

تنحو بنا هذه الهرميّة المتداخلة، المتجاورة مع مختلف العلوم الإبستيمولوجيّة إلى الاعتراف بمشروعيّة العودة إلى الإنسان ومن ثمّ العودة إلى السّياق، فتقرأ النّصّ الأدبيّ بوصفه نسقا متحرّرا من قيود الدّاخل والفكرة البنيويّة المحايثة.

تعتمد السّيميائيات في ثوبها الجديد إذن وبوصفها مبحثا من مباحث البلاغة الجديدة والمنجز النّقديّ ما بعد الحداثيّ على ضرورة العودة إلى الأصوليات المعرفية، وكذلك التّحوّل من حيّز النّصّ المغلق إلى الانفتاح على مختلف مقولات السّياق ولكن بطريقة مخالفة لما كانت عليه الدّراسات السّياقيّة قبل البنيويّة، فبدلا من إسقاط نتائج العلوم المتجاورة مع الأدب على نصوصه إسقاطا إقحاميا، يدمجها في النّصّ الأدبيّ من خلال عمليتيّ النّقد -يمنحها مشروعية أن تصبح آليّة من آلياته- والتّأويل.

نُخضع فيما يلي مجموعة من النماذج الشعرية للشاعر الجزائري "عياش يحياوي" إلى هذا المعيار الجسدي الجديد في الملفوظ السّيميائي وخاصة ما تعلق منه بالشقّ الهووي، محاولين دراسته عن طريق الكشف عن الموجهات الذهنية والنفسانية للفعل العاطفي في الخطاب، نظرا لكون الأساسيّ « **في دراسة الهوى ليس التّعرف على العلامات الدّالة على الأهواء، بل الاهتمام" بآثارها المعنوية كما تتحقق في الخطاب.**» (غريماس وجاك فونتاني، 1991، ص 11) وذلك وفق مايلي:

2. الأنساق العاطفية في شعر "عياش يحياوي".

يلاحظ قارئ دواوين "عياش يحياوي" تصارع نمطين من الحالات العاطفية، يتعلق النمط الأول بالخطاب الصريح الذي يشي في معظم حالاته ومتعالقاته الدلالية، بعاطفة الحزن وما يحيط به من قاموس مكثف لمفردات الموت والألم، ويرتبط النمط الثاني باللعبة المفارقة التي تسند لكل فعل رغبة خطابا ضديدا متبنية ضرورات الشكل الشعري الذي يسعى إلى تغليف الهوى المطمور، انتصارا للصمت العاطفي تارة، وانفلاتا منه تارة أخرى.

1.2الأهواء المعلنة؛ الحزن والكتابة ورغبة التحرر.

تنضح القصيدة الشعرية لدى "عياش يحياوي" بمعجم حزين يعبر عن وجع الشاعر ومدى استعداده للموت من خلال استحضاره مجموعة من المتخيلات التي تعبر عن مأساته وتتماهى مع وجعه، فيتحدان وبوح القصيد الذي يعلن بكاء عود الثقاب، يبكي الشاعر نفسه، يقول:

« عود ثقاب متشرد

يبكي لأنه مقدوح

ويبكي لأنه مجروح

ويبكي لأن البكاء لا يحتاج إلى واسطة

أو ملء استمارات صعبة الفهم

أو التذلل أمام ماكياج السّكرتيرة

البكاء سماء

يلمسها دعاء المظلوم

فتجري الأنهار تحت حدائق العسكر والبوليس..» (يحياوي، 2008، قمر الشاي، ص 49).

في هذا المقطع يتّضح متخيل الشاعر في تماهيه مع عود الثقاب المحترق، وكأنه يستحضر استغلال وانتهازية بني البشر الذين يتزاحمون ويتدافعون أمام فتيل غير منتهي الصلاحية عساه يضيء عتمة حياتهم، لكن ما إن تتم الاستفادة منه يرمى مظلوما مكلوما لا اعتبار له، ولا مجاملات.

يتحد كذلك الشاعر مع متخيل آخر ووجع آخر، متخيل متشيء، حالة وصدمة، صدمة موته وعجزه يقول:

« إذا سدت بروج الروح

أخشى ماوراء الباب

أخشى الباب والأصحاب

أخشى من دمائي قد تراودني على دمها

وأخشى دمعكم في الليل يورق بالوصايا..

لا تلوموا

تحت أقدامي عوت ريح سموم

وضج في سهوي بهاء كنت أكنزه

ومال اليوم هودجي القديم..» (يحياوي، 2008، ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، ص ص 79، 80).

يتدرج الشاعر في متخيله في هذا المقطع فيصل بادئ الأمر موته، وما قد يخلفه من حزن يهيمن على أصحابه، خلانه وأحبائه، حزن يغشاه بالخشية والحيرة والتذلل للمحبوب، وجع يغدقه فيما قد يكون، ليفيق من غشاوته على متخيل آخر، ليس الموت المادي هو، إنما الموت المعنوي والمكانة التي فقدها بسبب عجزه وميلان هودجه، الذي أفقده حتى القدرة على المشي، يقول:

« في آخر الليل والكأس

بدا لي أن أمشي

ولو كان لي قدمان لمشيت

لاحظت أن الميم ملمومة

والشين بخاخة ترش الشاعر فجرا

والياء محطة عبور السكارى

وتاء المتكلم ترتعش من بوليس الليل» (يحياوي، 2008، قمر الشاي ص 29)

لا يقصد الشاعر في هذا المقطع المشي الحركي إنما يريد البوح عبر متخيل آخر لرجل فاقد القدمين بسكونه وارتباكه في الحياة.

تتعانق النصوص السابقة وتتلاحم في بناء كون شعري يقول عجز الإنسان، لاعجزه الذاتي، إنما تعجيزه من المجتمع المهمش له بعد انتهاء صلاحيته-حسبهم- تماما كفتيل عود الثقاب المشتعل، الأمر الذي يرسخ عادة الحزن لديه فلا يرى في الكون إلا مواجعه، يقول:

« لا قمر في السماء سوى وجه قلبي

ولا قطط في الشوارع غير همومي

يرجرجها البرد..

والتائهون السكارى قناديل يابسة الضوء

لا طرق في المدينة غير متاهات المجاعات

لا سمر غير قهقهة الصمت

تسبح في سدم الروح» (يحياوي، 2008، قمر الشاي، ص 69).

رغم اكتئابه الواضح في هذه القصيدة، يحمل الشاعر فتيلا وخيطا رفيعا من أمل يجعله يرى ورغم همومه المبعثرة الملقاة في الشوارع كقطط شاردة وجه قلبه في القمر، وجها منيرا يضيء الحياة رغم عتمتها، وعتمة كل الحيارى السكارى اليابسة الضوء، فبالرغم من الوجع اللصيق بسدم الروح لا يزال القلب يحمل خيرا وبشرا، ينفلت منه بعض الأحايين فيقول؛ أريد أزهارا، أريد قلبا، أريد حبا ... (يحياوي، 2008، ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية).

يبوح تكرار الأداء القولي للازمة "أريد" في القصيدة كتركيب دلالي لقاموس الرغبة بمحاولة الشاعر الانفلات من أزمته النفسانية التي لبس فيها متخيل وحالة نكران الأصدقاء والأحباب والزوج يقول:

«الصباح الباكر القهوة في فنجانها

الأطفال في النوم

وعين الزوج في القفة

في الجيب دنانير فقيرات

وفي القلب دخان التبغ

دقت ساعة الحائط

دقت ساعة الغيب.» (يحياوي، 2008، قمر الشاي، ص 95).

في هذه الأسطر يوضح الشاعر حالة وجع أخرى تتمثل في فقر الحال وضيقه وتوهان الفقير وتخبطه في انتظار بركات الوقت وغيبة الأقدار.

حزين هو الشاعر إذن ، مكلوم ، يعبر عما يخالجه من وجع عن طريق الكتابة ، يرتحل إليها سويعات العجز يقول:

« أرسم الكلمات طيورا على الأسطر المستقيمة

أرسم ليلا دجيا على سأم الورق الأبيض

أرسم خانته خانتها بالمداد الوفي

أرفع فستانها راية للإشارات

أرسم أحرفها حفرا وانحرافا لخيل الملذات

أرسم بالسيف جرحا على رعشات البياض البليدة

أرسم من ثقتي على أصابعها أنني سيء العمر.» (يحياوي، 2008، قمر الشاي، ص 115).

هكذا إذن يرسم الشاعر عمره ولحظات انكساره بالقلم وبالحبر الوفي لكل أزماته، فبالكلمة يعبر عن أحزانه ويعبر منها إلى سبيل السعادة حيث الرّاحة النفسية والسرور والبهجة، وبالكلمة المستلة من عمق الروح

« أكتب بلحمك، على الأرض تنشق على

قطعان خيول تخض أرض المعنى

قطعان كلمات تنقلب على القاموس.» (يحياوي، 2008، قمر الشاي، ص 48).

يتضح للقارئ إذن حزن الشاعر وعمقه، وليست كتاباته المتألمة سوى مرآة لما يحتويه صدره **« أرسم ما في السطور يخون الذي في الصدور.. وينساه.»** (يحياوي، 2008، قمر الشاي، ص ص 115، 116) سوى دليلا على رغبته في التخلص من هذا الوضع فليس ألمه أو بالأحرى الكتابة عن ألمه سوى تنفيسا وتصعيدا وتساميا لما يخالجه ورغبة في بوح ومشاركة تجعله ينعم بالسعادة والراحة النفسية ويتحرر من ذاته المفجوعة.

2.2 الشكل المفارق في الخطاب العاطفي.

يتضح شكل المفارقة في شعر عياش يحياوي في قصيدة "مايراه القلب الحافي في زمن الأحذية" فبالرغم من اللازمة اللغوية المتكررة لفعل الإرادة والمرتبط بألفاظ الحب والحياة والرغبة في العاطفة الجياشة، إلا أن الشاعر لا يستطيع إخفاء قواميس الحزن والانكسار، ليس حزنا ورغبة في التحرر هذه المرة، إنما ترسيخا للمواجع برغبة نفسية مطمورة في لاوعية، تنحو به صوب ذبح الأزهار، وصوب حب فتاك يقسمه نصفين كحبة تفاح، واقتلاع عيون البشر وإحراق الورق يقول:

« أريد أزهارا، أذبحها فتملأ بيتي بالعطر وتذبل وهي تودعني

أريد حبا، يبدأ بالاعوجاج والصمت ويقسمني نصفين كما حبة التفاح

أريد وطنا، انقرض فيه الشيوخ وجذور البلوط لأمشي عاريا كالهواء

أريد بشرا، أقتلع عيونهم لأمارس مع طفلة الجيران لعبة الكويرات

أريد ورقة، لأحرقها وأكتب بالنمل حروف كلماتي..» (يحياوي، 2008، ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، ص 84).

يسوق لنا هذا المقطع الشعري الجانب المفارق في الخطاب حيث تتصارع الرغبة في الحياة والتخلص من الالم المختزلة في فعل الارادة مع عاطفة الالم التي يريد تجربتها في فعلي الذبح والانكسار.

يلاحظ المتأمّل في المقطع أعلاه، تضارب نمطين من الغرائز، الغريزة الإيروسيّة (غريزة الحياة) متمثّلة في فعل الإرادة ورغبة الحب والغريزة الثّاناتوسيّة (غريزة الموت) متمثّلة في غلبة المستعار المشرئبّ بحمّى الجريمة والموت، ثمّ إنّ مفاعيل الخيال في تطويق الإيروسيّ بالثّاناتوسيّ تبدو لنا عجيبة عصيّة على الفهم، ففي الوقت الّذي يُلبس فيه الشاعر كلّ جميل ثوبا قبيحا من مثل: "أريد أزهارا، أذبحها" يقيم لكلّ قبيح ثوبا تطهيريا مثل: أريد بشرا، "أقتلع عيونهم لأمارس مع طفلة الجيران لعبة الكويرات" وكأنّه يستجلب القبيح الثّاناتوسي إلى كلّ جميل إيروسيّ، ثمّ يريد التّخلص منه إذا ما كان في موضوعة ثاناتوسيّة.

يعتبر المنظور الفرويديّ هذا التّضارب الغريزيّ طبيعيّا فكما تنفصل غريزتا الإيروس والثاناتوس، مشكّلتين العصاب، تتّحدان في خدمة الحالة السّويّة للفرد إذ يعتبر حسب "فرويد": « **العنصر السّاديّ من الغريزة الجنسيّة مثالا نموذجيّا للاتّحاد الغريزيّ الّذي يؤدي خدمة مفيدة، كما يعتبر الانحراف الّذي تصبح فيه السّاديّة مستقلّة بنفسها مثالا نموذجيّا للانفصال**» (فرويد، 1982، ص 68). فخطاب القسوة المتواشج مع خطاب الرغبة في الحب أمر طبيعي يغلف به الشاعر مشاعره المرهفة المنكسرة يقول "فرويد": « **القسوة رمز للعطف حتّى يخفي الإنسان ما يخالجه من شعور، فلا يفضح نفسه.**» (فرويد وشتيكل، د ت، 73) وعلى هذا فإنّ الرغبة السادية الظاهرة الذّبح ما هي إلاّ حاجة ذكوريّة لعدم الرّضوخ للحبّ (الأنثى) والمشاعر المرهفة.

ثم إن فعل إخفاء المشاعر في شعر "عياش يحياوي" تجربة مفارقة مفعمة بالأنساق المطمورة، خاصة وهو الشاعر الفذ الذي أنجز العديد من الدواوين التي نال بها عددا من الجوائز الشعرية والألقاب، فكل قصيدة سنبلة من سنابل البوح للمخبوء العاطفي، فكيف لشاعر يحمل همّ كتاباته وهمّ مجتمعه-كما يظهر في أعماله الخيرية- أن يكون قاسي القلب؟

3. التمثلات النفسانية للأنساق العاطفية في شعر "عياش يحياوي":

إرتبط إذن المعجم العاطفي في شعر "عياش يحياوي" باستعارة حقلي الموت والحياة، على اعتبارهما أصل الكون وجوهره، فـ« موت الكائن وحياته جزء من جدلية الكون كله، ومن المتعذر فصل الحياة عن الموت من مختلف الجوانب.» (العودات، 1982، ص 14)، فيتوقف أمام حالتيهما غيابا وحضورا، نقصانا وزيادة، ما يدمج الخطاب مباشرة في التجربة النفسانية للذات.

لقد جاء الأداء اللغوي في القصائد على مستوى التجربة الشعرية، بمستويها الواعي واللاواعي، فاستدعى في المستوى الأول ذات الخطاب المتصارعة بين الخير والشر، والموت والحياة، واستحضر في المستوى الثاني نسق الهبوط والصعود ورموز الحميمية.

يغلّف نسق "الهبوط" في شعر" عياش يحياوي" الرغبة اللبيدية (الحياة والجنس)، « **فإذا كان الصعود دعوة إلى الخارج، إلى ما وراء الجسد، فإن محور الهبوط هو محور حميمي هشّ وطري، والعودة الخيالة هي دائما "إدخال" حسّي- عضوي وباطني.**» (دوران، 1991، ص 179) كما تستحضر تجربة الموت في الخطاب الشعري عقدة العودة إلى الأم، من خلال ارتباطها بالقبر أحد رموز الحميمية (دوران، 1991)، فـ « **المدفن وبطن الأم، هذان القطبان النّفسيان، هذان الحدّان الحتميان للتصور.**» (دوران، 1991، ص 219) يدعواننا إلى فهم مغاير للموت، فبدلا من أن يكون الموت هو الفناء يحدث بفعل الدفن قلب تلطيفي لمعناه « **يوصل للتماثل بين المهد واللحد.**» (دوران، 1991، ص 215)، فتصبح الحياة مجرّد « **انسلاخ عن أحشاء الأرض، بينما يمثل الموت عودة إلى المنزل (...) والرّغبة الشائعة في أن يدفن الإنسان في أرض وطنه ليست سوى**

المظهر الدنيوي للعودة الصّوفية إلى الجذور، إلى الجوهر، سوى رغبة في العودة إلى المنزل الأول.» (دوران، 1919، ص 214).

يظهر هذا التعلق الحميمي بالموت باعتباره نسقا مغلفا لرغبة العودة إلى الأم، ذلك الحماس الكبير للموت في الخطاب الشعري يقول: وجه الميت قطن أبيض جدا"، (يحياوي، 2008، قمر الشاي، ص 36) يظهر هذا المقول انبهار الشاعر بالموت والموتى فيشبه وجه الميت بالقطن الناصع البياض في روعته مؤمنا بحتمية الموت: « **تموت الديار ويبقى طللها**

أموت أنا..

ويبقى في البرية الله.» (يحياوي، 2008، قمر الشاي، ص 9) فيتخذ الشاعر من حزنه ذريع للرغبة في الموت وبالتالي ذريعة للعودة واللجوء إلى بطن الأم/ القبر.

4- الوظائف العقلية للهوى في شعر"عياش يحياوي".

يلخص "جيروم أنطوان روني" (1987) الوظائف العقلية للهوى في ثلاثة أنماط ذهنية، يتعلق الأمر بفعل « **التخيل والهوى.»** (جيروم، 1987، ص30)، « **الانفعال والهوى.»** (جيروم، 1987، ص36)، « **الهوى والعقل.»** (جيروم، 1987، ص 38)، فالتخيل حسبه: « **هو كل شيء أو لاشيء تقريبا في الهوى .إذا رأينا فيه القدرة على بناء عالم غير واقعي بواسطة صور شعورية، يمكن للتخيل أن يعبر بوضوح عن الهوى.»** (جيروم، 1987، ص30) وهكذا نالت صورة عود الكبريت، والموت ورثاء الذات، وصورة العجز عن المشي ومتخيل الفقر والدنانير القليلة استعطاف القراء بوصفها فعلا تعبيريا وتأثيرا في الوقت ذاته، ففي الوقت الذي صنع فيه الشاعر خيالاته بفعل انفعال الحزن، رسخت التحولات التخييلية ذلك الهوى، وتحديدا عند اصطلاح الانفعال يجب التوقف، فـ « **الانفعالية الشعورية التي تغذي الخيال.»** (جيروم، 1987، ص 35) ترسخ الهوى، الأمر الذي يستدعي تدخل العقل لتبرير الهوى، يقول جيروم أنطوان روني: « **في التفكير الانفعالي (...) باتجاه معاكس للمنطق العقلاني، تعطى النتيجة مسبقا، فهي تحدد قيمة المقدمات المنطقية بدل أن تحددها المقدمات، لا تتدخل الحجج إلا لتبريرها، يكون التفكير غائيا.»** (جيروم، 1987، ص 38) من هنا يمكن القول بأن تجربة الأهواء في شعر "عياش يحياوي" أو بالأحرى تجربة الحزن في شعره بدأت بانفعال طفيف أسهمت متخيلاته في ترسيخه وتأزمه، ليحاول العقل تصليح الوضع برغبة سادية مغلفة لفعل الإرادة الحقيقي لديه والمتمثل في الرغبة في الحب والفرح تبريرا لهواه الانفعالي الموطد بالتخييل.

5. خاتمة:

و في الأخير يمكن القول بأنّ الشاعر الجزائري "عياش يحياوي" استطاع بدربته ودرايته الفنية والنقدية على حد سواء الانفتاح معرفيا على نسق شعري عاطفي يقول فيه الذات الإنسانية وما يخالجها من أوجاع ونسق نفسانيّ يلج عمق المخبوء اللاواعي عبر منجز متخيل كشف من خلاله عن صورته الاستيهامية للأهواء، فتجربة الحزن والألم في شعره، التي حاول البحث مقاربتها انطلاقا من الجمع بين سيمياء الأهواء والسيميائيات العرفنية ، أسفرت عن وجود خيط انفعالي بسيط سرعان ما تحول إلى نسق عاطفي راسخ له ما يبرره ذهنيا وسيكولوجيا.

6. قائمة المراجع:

- يحياوي، عياش، 2008، قمر الشاي، أبو ظبي، مطبعة دار الفجر.
- يحياوي، عياش، 2008، ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، أبو ظبي، مطبعة دار الفجر.
- غريماس، ألجيرداس جوليان، فونتاني جاك، 2010، سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس، تر: سعيد بنكراد، لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة.
- فرويد، سيجموند، 1982، الأنا والهو، تر : محمّد عثمان نجاتي، مصر، دار الشروق.
- فرويد، سيجموند، وليم، شتيكل، د ط، الكبت، تر: علي السيّد حضارة، مصر، المكتبة الشّعبيّة.
- حسين العودات، 1986، الموت في الدّيانات الشّرقية، سوريا، المطبعة العلميّة بدمشق.
- دوران، جيلبير، 1991، الأنثروبولوجيا رموزها أساطيرها أنساقها، تر: مصباح الصمد، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنّشر والتوزيع.